يوسف ادريس

الخـــلاص

بضربة ارادة واحدة تمت المعجزة .

تحولنـا من كائنات لا كرامة لهـا ، كائنات كالسائمة او الحيوان الى بشر ذوي كرامـة .

بضربة ارادة واحدة ردت الينا كرامتنا وعادت انسانيتنا .

لم اكن قبـلا اؤمن كثيرا بدور الفرد في التاريخ .

لم اكن اعلم ان الفرد باستطاعته حين يجمع ارادتـه ان يحتـوي فيهـا ارادة امة وتاريخ شعب وقدرة حضارة .

ولكن البطل انور السادات غيّر من مفهومي .

سحق الهزيمة الكامنـة في كل منـا حين قرر العبور .

فبقراره لم يعبر جيشنا القناة فقط .

ولكن شعبنـا عبر معه فيافي الذلة والمسكنة ، عبر الصفائـــر والحقارات ، عبر الالام التي لا يطيقها بشر ، آلام العجز ، عبر الحياة .

كيفمـا اتفق الى الحياة كما يجب ان تكون .

كان العبور هو الخلاص .

يا لسعادتي وانا اسمع اسرائيل تتحدث عن (العدوان) المصري ،

يا لوقع الكلمة الحبيبة في اذني اننا اخيرا اصبحنا معتدين .

نحن اصحاب حق ولا يستعيد الحق الا اصحاب معتدون .

اكاد لا اصدق كل ما يحدث .

احقا اصبحنا نقاتل لاستخلاص ارضنا وكرامتنا ؟

احقا ثبت لنـا اننا لا عيب فينا وانمـا العيب دائما في الظروف؟

احقا عبرنا القناة ونحـــرر سيناء ونحطم المدرعات ونسقط الطائرات ونأسر منهـم مئـات ؟

احقا يحدث هذا كله ؟

بأيدي مصريين مثلي ومثلك ؟

الم اقل انهـا المعجزة ؟

معجزة ارادة الامة حين تحتويها ارادة بطل .

فبهذا ، وبهذا وحده تتحقق المعجزات .

الاهرام
١٢ تشرين الاول

يميـــن الســـلام

لم يكن عبور قواتنا المسلحة القناة واقتحام خط بارليف وتحرير شرق سيناء عمـلا بطوليـا في حد ذاته ، لقد كـان واجبا . امـا البطولة الحقة ، امـا الملحمـة التي ستظل اجيال كثيرة ، واجيـال تتحدث عنها فهي الطريقـة التي ادت بهـا قواتنا هذا الواجب المقدس.

والبطولة كلمة ــ في رأيي ــ مبهمة ، ان هاملت شكسبير بطـل وعطيل بطل ومحسن « عودة الروح » بطل ، ولكن البطولة هنـا هـي ما تكشف عن انساننـا المصري العادي من قوى خارقـة لم تكـن قبلا ملحوظـة فيه . ان المقاتليـن المصريين كانوا اولئك الشبان الذيـن كنت تراهم ولا تزال تراهم في شوارع القاهرة كائنات بشرية شابـة مبتسمـة طيبة مسالمة ولكن ، كان لا بـد ان تشهـد هؤلاء وقد واجهوا العدو ، انشبوا اظافرهم فيه ، لترى الى اي آماد خارقـة تفتق عن هذا الانسان المصري العادي كاننـا لم نعرفه ابدا ولم نكـن نتصور وجوده. ولقد اتيح لي ان ازور قريبا لـي جاء جريحا من الجبهـة مصابـا برصاصة في كفه . كنت اعرفه وكان ياتينا قبل الحرب شابا ظريفـا حاضر النكتة احيانـا يحدثني عن اشتياقه للقتال وظمئه ان نخـوض الحرب وكانه يتحدث عـن شبقه برؤية فيلم جديد . في المستشفـى وجدته كائنا اخر ، انسانا تكشفت عنه الغشاوات تماما ، ثاقب النظرة ثاقب الفكر ، جريئا وكان الخطر عبث ، وكان يصرخ طالبا ان يفـك عنه حصار المستشفى وان يعود لرفاقه في الميدان .

كان سعار حرب التحرير قد اصابه وحوله من المصري كما يحيـا ويوجـد الى المصري كما يجب ان يكون . وحدثني طبيب المستشفـى عن الحكيمة المسئولة عن العنبر ان زوجها واخاها وزوج اختها يقاتلـون

في سيناء وهي تعمل طوال الاربع والعشرين ساعة بلا كلل وانما بابتسامة غريبة كأنما تفتقت عنها ابواب السماء تحتل وجهها تزيل عنها وعن الاخرين التعب وتبث روح القتال وتبعث الامل . والظاهرة ليست افرادا مبعثرين ، انها كل من لمستهم نار الحرب المقدسة ، كل من اطلق طلقة ، كل من عبر ولم يعبر ، كل من صاح وهو يهجم على الوكر اليهودي مسددا سلاحه صائحا : الله اكبر .

هذه الظواهر دفعتني للتفكير ، منذ مائة عام ، منذ احقاب طويلة واحقاب وشعبنا يتحرق شوقا لمواجهة عدوه . العدو الغامض المستتر دائما خلف لافتات او ادعاءات او احلاف . والعدو الذي لم يتح لنا ابدا قتاله منذ موقعة رشيد ، الانجليزي مرة والاميركي مرة والصهيوني مرة . العدو الذي واصل خنقنا باصابع من فولاذ لا ترى ، الذي كان يكبل تقدمنا بقيود بالغة العنف . العدو الذي حرص دائما وابدا على ان لا يدع لشعبنا مطلقا فرصة قتاله او القيام بثورة شعبية مسلحة ضده . كنا ما تكاد تتكامل اسباب الثورة وظروفها وما تكاد تحين لحظة الالتحام حتى يجهض المعركة فينسحب مرة الى فايد وصحراء السويس ، او يخلق الظروف التي تجبرنا على ايقاف القتال واطلاق النار ، دائما يناى عن اظافر الشعب ان تشرع وعن انيابه ان تظل فهو يعلم العلم اليقين ان لو حدث مرة واتيح لشعبنا ان يخوض معركته المسلحة فان الشعب لن ينتصر فقط وانما ستذوب في نار الحرب التي يخوضها الشعب كل ادران الماضي وصغاراته ، ستنفك القيود ، سينطلق الانسان المصري جديدا كما لم يعرفه العالم منذ زمن طويل ، يبني مصر الجديدة المملاقة ، رافعا رأسه الى اعلى والى الابد ، وهو ما خشيه دائما اعداؤه الفرنسيون والانجليز والاميركان والصهيونيون . ان حروب التحرير لا تخرب البيوت . انما تعمر البيوت ، ولا تقتل الرجال ، انما تبني الرجال وتستنبت الرجولة في الرجال . انها تحيل الانسان الصاغر من عبد الى حر يملك قدره ويصنع مصيره ويملي على الحياة ارادته .

وهكذا فان الثورة الرابعة التي قادها العظيم انور السادات بعد ثورات ٨٢ ، ١٩ ، ٥٢ كانت اول حرب تحرير حقيقية نخوضها شعبا وقوات مسلحة ، امة وافرادا ، زعيما وقاعدة . ومنها سننطلق ، ولن يكون هناك حد لانطلاقنا . سنبني حضارتنا الحديثة التي طال الحديث عنها ، نحرر انساننا ويتحرر ويسبق ويبني ويبتكر ويخلق .

وهكذا ايها الابطال الذين صنعتم لنا المجد ، ايها الابطال الذين استشهدتم والذين جرحتم والذين سلمتم . ان كل نقطة دم نزفت من شهيد او من حي لن تذهب عبثا . ستظل عبر الاجيال تحفظ لها الجميل ، سنظل باعيننا نراها ونرعاها ونشمها ونستوحيها ، فمن نقط دمائنا الغالية التي بعثرت على رمال سيناء سننسج خيوط المستقبل ومن رائحة الدم سنسكب ملء البحر عرقا وسنبذل كل ما نملك من دم ودموع .

وعلى هذا نقسم ، والله سبحانه على ما نقول شهيد .

الاهرام
٢٦ تشرين الاول

بداية ثورة رابعة

ان ما حدث في مصر ولمصر يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، لا يمكن ان نسميه بداية حرب تحرير فقط ، لان في هذا غبنا له اي غبن ، انه في الواقع بداية للثورة الرابعة للشعب المصري ، تلك الثورات التي بدأت بثورة احمد عرابي ١٨٨٢ ، ثم ثورة ١٩ ، ثم ثورة ٥٢ ، ثم ثورة ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، بل اكاد اقول انها اعظم هذه الثورات جميعا ، لانها بدأت والشعب المصري في اعمق اعماق الهزيمة ، بدأت والشعب في حالة من الاحباط ، وفي حالة من فقدان الشخصية ، وفي حالة من اليأس ، وفي حالة من التردي في مغارات الحرمان ، وانتفضت به من هذه الاعماق كلها ، الى قمة الثورة . وقمة الثورات في رأيي ، هي الثورة الشعبية المسلحة ، تلك التي يمسك فيها الشعب بسلاحه ، ويدافع به عن وطنه ، ويواجه عدوه وجها لوجه ، وبندقية لبندقية ، ودبابة لدبابة . وهذا هو ما حدث يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، لقد قادنا انور السادات في هذه الثورة الشعبية المسلحة قيادة لا اقول انها قيادة شخص عادي ، لكنها قيادة بطل تحسس نبض الشعب ، وادرك انه يختزن في اعماقه طاقة وقوة ، قادرين على كبح جماح العدو ، فأعطى اشارة البدء بالمعركة ، كانت ضربة ارادة قوية اهتزت لها اعماق الشعب ، وتكشفت عنها بطولاته ، وما نسمعه الان من هذه البطولات الخارقة ليس جديدا ، وما سنسمعه عنها لن يكون جديدا ، لان هذا الشعب يحتوي بين صدوره كل مقومات البطولة ولكن وكأنها كانت هناك مؤامرة من الاستعمار العالمي ، والقوى الرجعية ، والحكام الطغاة ، على كبح جماح هذه البطولة ، وعلى دفنها وعلى افقاد الشعب لشخصيته . كان الاستعمار طوال الوقت يتحاشى الالتحام مع الشعب او يتحاشى بمعنى ادق ان يحمل الشعب سلاحه دفاعا عن حقه في الثورة ، وحقه في التحرير ، ولهذا حين قامت المظاهرات سنة ١٩٤٦ ، واحس الانجليز ان الشعب على وشك الغليان ، جلا الانجليز الى منطقتي فايد والسويس ، وحين حدث عدوان ١٩٥٦ ، ما كاد العدوان يبدأ حتى فوجئنا بايقاف اطلاق النار . وهذا هو ما حدث سنة ١٩٦٧ ، فما كادت الحرب تبدأ حتى انتهت دون ان يتمكن الشعب من ان يدافع عن نفسه ، ومن مواجهة عدوه ، ومن حمل السلاح دفاعا عن حريته ، ولهذا فنحن الان في فترة من اعظم فترات هذا الشعب ، انني امشي في الشوارع واصافح الوجوه بناظري ، فاذا بها حافلة بالبشر ، واذا بالامل يتفتح ، ولم يحدث اي تغيير يذكر في حياتنا ، لم يحدث سوى ان هذا الشعب احس انه لاول مرة يحمل السلاح دفاعا عن نفسه ومواجهته لعدوه ، انها ثورة . ثورة بالمعنى الكامل للثورة ، وكل ما أتمناه ان تمضي هذه الثورة قدما ، لتخلق مصر الجديدة ، مصر التي بشرنا بها ، والتي آمنا بها . والتي تفاءلنا بوجودها ، ان تخلق هذه المرة ذلك الخلق السوي الذي انتظرناه لها جميعا ، ذلك الذي حلم به عرابي ، ذلك الذي بشر به سعد زغلول ، ذلك الذي كافح من اجله جمال عبدالناصر ، نريد لكل هذا ان يتحقق على يد انور السادات ، وعلى يد الشعب المصري ، المتحرر ، الحر ، المدافع عن نفسه ، عن امجاده وعن تراثه ، وعن تاريخه .. المعيد الى الاذهان كل بطولاته السابقة من ايام احمس .. الى قطز .. الى انور السادات . اني لشديد التفاؤل ، وعظيم الامل ، في ان كل ما حلمنا به ، وما ضيعنا العمر من اجله ، سيتحقق في هذه الثورة الرابعة من ثورات الشعب المصري .

الطليعة
عدد تشرين الثاني